السبت 30 إبريل/ نيسان 2022 م 29 رمضان 1443 هـ ◻ العدد 2798 السنة الثامنة
Saturday 30 April 2022

العربي الجديد

هوامش

يفتح قصر متحف «طوب كابي» في مدينة إسطنبول التركية أبوابه أمام السياح بعد ترميم قسم النساء والمستشفى، ما سيسمح بتعرف الزوار على أسرار «مطبخ القرارات العثمانية» ومركز السلطنة

قصر «طوب كابي» مدعاة فخر الأتراك (جمال يورطاش/ Getty)

قصر «طوب كابي»

مطبخ قرارات السلطنة العثمانية

إسطنبول ـ **عدنان عبد الرزاق**

ربما لا مكان يكشف أسرار الدولة العثمانية في تركيا مثل قصر «طوب كابي» (الباب العالي بالتركية)، فهناك عاش سلاطين الإمبراطورية العثمانية نحو 391 عاماً، منذ أن أمر السلطان محمد الفاتح ببنائه عام 1478، ومنه أديرت شؤون الدولة العثمانية، وقد عاش فيه نحو 4 آلاف شخص، وهم السلطان وعائلته وخدمه وبعض الحراس والمسؤولين والموظفين.

ولم يأخذ قصر «الدولمة باهشه» الضوء من «طوب كابي»، رغم أن السلطان عبد المجيد حوّله إلى مقر السلطنة وإدارة الدولة، واحتفظ «طوب كابي» بمكانته ورمزيته ومقتنياته، واستمر تقليد إقامة السلطان وعائلته فيه لشهر سنوياً، غالباً في شهر رمضان. يقول الأتراك إنّ السلطان عبد الحميد اقترح تحويل قصر «طوب كابي» إلى متحف، بعدما نقل سلفه عبد المجيد بعض مقتنيات خزناته. وتابع المهمة السلطان عبد العزيز ليصبح القصر متحفاً لعامة الناس لمدة خمسة أيام أسبوعياً. لكنّ الفكرة الكاملة لم تترجم إلى واقع، إلّا بعد تأسيس الجمهورية وفرط عقد الدولة العثمانية، أيام مصطفى كمال الذي حوّل القصر في 3 إبريل/ نيسان 1924 بكل أجنحته، إلى متحف.

ومنذ عام 2014، نبّه أكبر قصور الدولة العثمانية ومطبخ قراراتها، بسبب كثرة زواره خاصة لقسم الحرملك، الدولة التركية لإخضاعه لعمليات ترميم وإصلاح أضيفت إلى 3 ترميمات سابقة. يوضح الخبير السياحي التركي سردار دونميز في حديثه لـ«العربي الجديد» أن الترميم شمل في مرحلة أولى المنزل الكلاسيكي الأناضولي والفناء وغرف السيدات والجواري، من خلال إزالة الجص الخرساني وإصلاح اللوحات والبلاط، مع الحفاظ على القبة والقبو كما هما، ثم أعيد في عام 2019 ترميم قسم الحريم (الحرملك) والمستشفى اللذين يستقبلان أكبر عدد من الزوار، حين نقل قصر «طوب كابي» إلى إدارة القصور الوطنية بعدما كانت وزارة الثقافة والسياحة تتولى صيانته وتشغيله. وتحدد موعد التسليم والانتهاء العام الماضي، لكن وباء كورونا أخر إنجاز التنفيذ، واليوم بات الترميم بمراحله النهائية. وعما إذا سيشمل الترميم المنشآت الموجودة فقط أو سيشهد توسيعاً، يقول دونميز: «ستزيد مساحة قسم الحريم «الحرملك»، نظراً لكثرة زوار هذا الجناح، كما سيتم فتح المخازن المجاورة للجناح أمام الزوار. والحرملك ليس، كما هو متداول، مكان عائلة السلطان وخدمهم فحسب، بل مكان إقامة كل النساء اللواتي يلبين احتياجات الجيش وموظفي القصر. أما مستشفى الحريم فمخصص للنساء. ويتوقع أن تفتتح كل الأجنحة وبينها شقق السيدات وأجنحة الجواري أمام الزوار قريباً، بعد الانتهاء الكامل من الترميم. وتشير مصادر تركية إلى اكتمال حوالي 80 في المائة من أعمال ترميم قسم «الحرملك» الإمبراطوري في قصر «طوب كابي»، بعد انتهاء ترميم وتجهيز أجزاء جديدة من حرملك القصر مثل ساحة مرافقات السلطان والجواري ومستشفى الحريم لاستقبال الزوار لأول مرة.

ويقول رئيس قصر «طوب كابي» إلهان كوجامان: «ينقسم الحرملك في قصر طوب كابي إلى جزأين. الأول هو مكان معيشة السلاطين والأمراء مع زوجاتهم وبناتهم، والثاني يخص خدم الحريم الذين يرعون شؤونهم إضافة إلى غرف تعيش فيها الجواري. وتوجد في هذا القسم أيضاً الحمامات التركية مقابل فناء الجواري، ومستشفى الخدم والجواري الذي يقع في الأسفل». يضيف خلال تصريحات أدلى بها أخيراً: «ستتم زيادة مساحة قسم الحرملك التي تجري زيارتها حالياً. وبلغت عمليات الترميم المكتملة التي أجريناها في هذا القسم حوالي 80 في المائة من مساحته الإجمالية، واستغرق العمل فيها عامين، ونتطلع إلى افتتاح هذه الأجزاء من قسم الحريم في غضون بضعة أشهر». ويؤكد أن الحرملك هو أحد أكثر الأجزاء إثارة للاهتمام والإعجاب في قصر «طوب كابي». وثمة حقائق عشر تختصر عناء كل من يحاول معرفة تفاصيل قصر «طوب كابي» الذي لم يزل حتى اليوم مدعاة فخر للأتراك بأنهم أحفاد من سكن هذا القصر وحكموا منه مناطق من المشرق إلى المغرب.

باختصار

في قصر طوب كابي، عاش سلاطين الإمبراطورية العثمانية نحو 391 عاماً، ومنه أديرت شؤون الدولة العثمانية، وضمّ نحو 4 آلاف شخص

■■■

احتوى القصر كلّ النساء اللواتي يلبين احتياجات الجيش وموظفي القصر، وشقق السيدات وأجنحة الجواري

■■■

جرت زيادة مساحة قسم «الحرملك» التي يزورها السياح. وشملت عمليات الترميم 80 في المائة من مساحته

1- بني قصر «طوب كابي» عام 1478، وتبلغ مساحته حوالي 400،000 متر مربع، ويعتبر من أكبر وأقدم القصور في العالم. وهو من القصور القليلة التي حافظت على رونقها حتى يومنا هذا.

2- في عام 1985، جرى تصنيف قصر «طوب كابي» على لائحة التراث العالمي لـ «يونسكو».

3- يضم القصر قسم الحرملك الذي يحتفظ فيه السلطان بالنساء المفضلات لديه. ويشرف على هذا القسم الذي يضم 400 غرفة والدة السلطان.

4- يضم القصر جامعاً ومسجداً ومجلساً، والقصر مصمم ليستوعب أكثر من 4000 فرد.

5- جرى تصميم القصر في شكل يشبه مخيمات العثمانيين الرحل.

6- قضى سلاطين الإمبراطورية العثمانية في القصر نحو 391 سنة، وذلك حتى القرن التاسع عشر. حينها كانت مدينة إسطنبول عاصمة الإمبراطورية العثمانية. وفي عام 1924 تحوّل القصر إلى متحف للسياح والزوار.

7- ضم متحف القصر العديد من الكنوز النادرة، منها من الماس الأكثر قيمة في العالم، وتعتبر قطعة الماس من عيّار 86 قيراط، من نوع سبونماكير إحدى أكبر قطع الماس.

8- يتميز القصر بوجود نافورة خارج بوابة القصر التي بناها السلطان أحمد الثالث عام 1728 حين كان يحتفل بزهور التوليب ويقام مهرجان خاص بها. ويستمر الاحتفال بمهرجان التوليب في إسطنبول حتى اليوم.

9- يخصص مكان كبير بقصر «طوب كابي» للمطبخ، وذلك لاهتمام العثمانيين بفن الطبخ. وكان القصر يضم مطبخاً كبيراً يضم حوالي 10،000 قطعة من الخزف وأواني للطهي بينها وعاء «لونقوان» والذي كان وجوده ضرورياً في قصور السلاطين والأمراء لما كان يشاع عنه في القرن الرابع عشر بتغيير لون الوعاء عند لمسه بالأغذية السامة.

10- الجناح المقدس الذي يحتوي على مقتنيات أثرية وتاريخية عديدة، منها آثار النبي محمد كالسيف والعباءة وبعض الشعر من لحية النبي وأحد أسنانه.

ويتمركز قصر «طوب كابي» في قلب المنطقة التاريخية بمنطقة «جان كورتاران - الفاتح» بالقرب من خليج القرن الذهبي وبحر مرمرة، ويتميز بإطلالته المباشرة على مضيق البوسفور الذي يفصل بين قارتي آسيا وأوروبا، ويجاوره جامع السلطان أحمد «الأزرق» وخلفه مسجد آيا صوفيا، وقربه سوق «بايزيد» المسقوف مركز انطلاق الرحلات البحرية بساحل «أمينونو» الشهير.

وأخيراً

حياة طبيعية للقاتل

رشا عمران

القاتل رومانسي. هذا ما تكشف عنه صفحته على «فيسبوك»، الصفحة التي أغلقت بعد ساعاتٍ من ظهور تقرير صحيفة الغارديان، وانتشاره في «السوشيال ميديا». ربما في تلك الساعات الممتدة بين ظهور التقرير وإغلاق الصفحة، لم يكن القاتل يستخدم «فيسبوك»، ليس لأنه مشغولٌ بعمليةٍ وطنيةٍ أخرى، فهو كما اعترف لآنا (الشخصية الافتراضية) كان متضايقاً من أنّ عمله قد تحوّل إلى عمل مكتبي مملّ، بدلاً من الميداني المليء بالإثارة. ربما كان ما حدث أنّ الكهرباء كانت مقطوعةً لديه في المكتب، وليس بإمكانه تصفّح الشبكة لتمضية الوقت، ذلك أنّ امتيازاً كالكهرباء الدائمة في سورية ليس من حق جميع القتلة. عند الامتيازات، سيتحوّل هؤلاء إلى مواطنين مهمّشين، مثلهم مثل ضحاياهم، أو على الأقل إلى مهمّشين فخورين بمساهمتهم في الانتصار على أعداء الوطن وإرهابييه.

نشر القاتل سابقاً على صفحته (في المتاح رؤيته لغير الأصدقاء) أغاني رومانسية وقصائد لنزار قباني، وعرض صوراً جميلة لقريته، ونشر صوراً برفقة أصدقاء له، يمجّد فيها الصداقة، وصوراً لشقيقه (الشهيد)، متحدّثاً عن مفهوم الأخوة وعن قيمة التضحية والشهادة، وصوراً لطفله، متفاخراً به كأي أبٍ آخر. ولا نعرف إن كان الطفل سيكبر بوصفه «ابن المؤسسة»، كما هو، وكما كبر والده مقتفياً أثر أبيه. والقاتل مؤمن أيضاً، إذ وضع على صفحته آيات من الذكر الحكيم، إذ «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه...».

يعيش القاتل مثل جميع البشر، ويتصرّف مثل بقية البشر. لا يبدو أنّ ما فعله قد سبّب له أرقاً ما، أو حتى وخزاً خفيّاً في الضمير، فحتى اعترافه لآنا الافتراضية بجريمته جاء نتيجة إحساسه بالفراغ والتهميش، إذ غالباً، كان يعتقد أنّ جريمته تلك ستؤهله لأن يكافأ بالعمل في مكانٍ أفضل، قريباً ربما من «السيد الرئيس»، حيث يتمكّن من خدمته وجهاً لوجه، بدلاً من الاكتفاء بتوثيق ما فعله لأجله وأجل عائلته.

تصلح حكاية أمجد يوسف بكل ما فيها، حسب تقرير «الغارديان» والترجمات عنه، لأن تكون دليلاً على البؤس السوري وخرافة الشعب العظيم، منذ ابتليت سورية بحكم آل الأسد؛ إذ ينتمي أمجد إلى أسرةٍ ريفيةٍ فقيرة كبيرة العدد. ارتبط والده بالمؤسسة الأمنية وربط أسرته كلها بها، لكونها السبيل الوحيد للعائلة لتدخل في الطبقة المتوسطة، العائلة التي تنتمي إلى طائفة «السيد الرئيس»، مثل كثيرين من أشباهها، اختلط لديها مفهوم الوطن بالطائفة؛ تلك أول الكوارث التي قصمت ظهر سورية منذ أوائل سبعينيات القرن الماضي: القضاء على الهوية الوطنية المواطنية الواحدة لمصلحة هوياتٍ صغيرةٍ متفرّقةٍ وقاتلة: عائلة، عشيرة، مذهب، طائفة، طبقة، مصلحة، إلخ. ومع أول زلزال أمني حدث في عام 2011، ظهرت تلك الهويات بكل طاقة الرعب التي راكمتها عبر سنوات، وحصل ما حصل.

نعرف، نحن السوريين، أسراً كثيرة مشابهة لأسرة أمجد يوسف، ونعرف آباء مثل أبيه تحوّلوا، بعد انتهاء خدمتهم العسكرية والأمنية، إلى رجال دين لطوائفهم أو زهاداً أو متصوّفة، من دون أن يعرف أحد، حتى

> تصلح حكاية أمجد يوسف بكل ما فيها لأن تكون دليلاً على البؤس السوري، منذ ابتلي بحكم آل الأسد

أقرب الناس لهم، حجم ما ارتكبوه من «إثم» وجرائم، ويعيشون حياتهم كما لو أنهم لم يفعلوا شيئاً، إذ هذا أيضاً شأنٌ باطني، لم يكن يسمح بالحديث عنه، وطالما نجوا من المحاسبة، فإن ما فعلوه شأن يتعلق بوظائفهم ومهنهم، في «المؤسسة» كما أسماها أمجد بدقة؛ لكن حتى اللحظة لم يتمكّن أحد من معرفة لماذا وثّق المجرمون جرائمهم ومجازرهم بعد الثورة؟ هل هناك سببٌ نفسي لذلك، أم أنّ الأمر يتعلّق فقط بتوافر إمكانات التوثيق عبر الهواتف المحمولة، وهو ما لم يكن متاحاً سابقاً، مع إدراكهم أنهم محميون من العقاب والمحاسبة، واعتقادهم أنّ أفعالهم كلها في خدمة الوطن، فلمَ لا يتباهون بها إذاً؟

من سوء حظ أمجد أنه وثِق، في لحظة شعوره بالتهميش والخذلان، بشخصية ظنّ أنّها حقيقية، وأنّها تؤمن بما يؤمن به، ففضحت جرائمه. أقول من سوء حظه، لأنّ هناك مئات مثله من مرتكبي الجرائم والمجازر، ما زالوا يعيشون حياتهم كما لو أنهم لم يفعلوا شيئاً، يستمعون إلى الموسيقى ويقرأون شعراً ويصوّرون مناظر خلابة، ويغازلون زوجاتهم وحبيباتهم برومانسية، ويقبّلون أطفالهم قبل النوم، لكنهم سيُصبحون منذ الآن أكثر حذراً في الإفصاح عمّا ارتكبوه، وقد يعدمون أي دليلٍ مادّيٍّ أو معنوي، قد يشكّل خطراً عليهم ذات يوم.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50** ◻ Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**